

الخضر حسين

الامام الأكبر

رابح خدوسي



منشورات وزارة الثقافة

الجزائر

obeikandi.com

سلسلة أدب الفتوة

تحت اشراف:
د. ربيعة جلطي

الإخراج الفني:
عبد الرحمان دحماني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2005



obeikandi.com



الخضر حسين

كلمة أولى:

لم يكن الفتى الخضر حسين يدري بأنه

سيصبح رجلاً ذا شأن كبير..

- إذا سألت عنه سكان بسكرة قالوا: عالم منّا قد هجر.

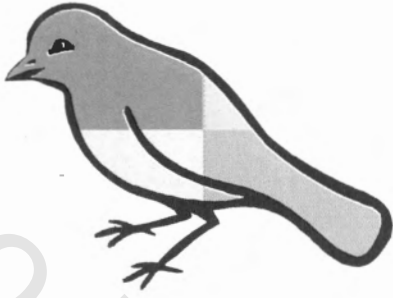
- وإذا سألت عنه بلاد مصر قالت: إمامنا الأكبر.

- وإذا سألت عنه العالم الإسلامي قال: شيخ الأزهر.

منذ أن زرت زاوية "طولقة" عام 2001 وحدثني عنه شيخها عبد القادر عثماني وهو يفتح لي مكتبة الزاوية التي تحتوي على مئات المخطوطات الثمينة... منذ ذلك اليوم واسم الخضر حسين يؤذن في خاطري... فقررت القيام بالبحث عن آثاره، ولما وجدتها اكتشفت حياة حافلة بالنضال والعطاء، وسجلت منها هذه الصفحات لتعرف الأجيال الناشئة الخضر حسين هذا الجزائري العالم، الأديب، الشاعر.. الذي درس عبد الحميد بن باديس... ووصل إلى مشيخة الأزهر...

المؤلف





كان الشيخ الخضر حسين كالعصفور
الطائر ينتقل من غصن إلى غصن
ومن شجرة إلى أخرى، حياته حلٌّ
وترحال.. من مهنة إلى مهنة، ومن مكان
إلى مكان، لكن مواقفه دائماً ثابتة كجبال الجزائر لا يحركها ريح
ولا يهزّها رعد.

ولنبداً صديقي القارئ رفقة شيخنا في رحلاته واحدة واحدة.



الرحلة الأولى: قبل المولد



من جنوب الجزائر إلى جنوب تونس... تهاجر أسرة جزائرية
يتقدمها العالم المكي بن عزوز وبعض أقاربه... وتقيم بمدينة "نفطة"
وفيها يؤسس هذا العالم زاوية "نفطة الشهيرة".





بريشة الفنان كمال بتيوي

يولد في هذه الأسرة صبي في 16 أوت 1877 هو ابن أخت
المكي بن عزوز.

وكما تترعرع شجرة الزيتون في الحقل ترعرع الطفل حسين
في أحضان العلم والإيمان بزاوية نفطة، في رعاية والديه الكريمين
وخاله الجليل المكي، فحفظ القرآن الكريم وتوسّع في علوم اللغة
العربية وآدابها وفي الشريعة الإسلامية.



الرحلة الثانية: صيدا

انتقل الفتى حسين مع أسرته صوب الشمال... إلى تونس العاصمة وعمره 12 سنة، كان ذلك سنة 1889، وبعد عامين التحق بجامع الزيتونة، فبدأت تظهر عليه علامات الذكاء والنبوغ في العلوم الشرعية والأدب، وفي الكتابة والإنشاء..



جامع الزيتونة

بلغت شهرته حكومة تونس الفرنسية فطلب منه الحاكم تولي بعض المهام قبل إتمام دراسته لكن الفتى حسين اعتذر.

الرحلة الثالثة: البحث عن الآخر...

وكانت هذه المرة إلى ليبيا سنة 1899 حيث أقام بمدينة طرابلس أياما، ثم عاد ليواصل دراسته بجامع الزيتونة، حتى حصوله على شهادة العالمية في سنة 1902 ...



الرحلة الرابعة: زيارة الجزائر

زار الشاب الخضر أرض أجداده الجزائر وهي تعاني من الاحتلال الفرنسي، وفي هذا الموضوع يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله قائلاً:



"وتردّد على الجزائر أفراد من عائلة مصطفى بن عزوز الرحمانية التي استقرت بنفطة (تونس) منذ حوالي 1844، ومنهم الشيخ محمد الخضر حسين الذي زار الشرق الجزائري والعاصمة حوالي 1905، وكتب (رحلة جزائرية)، ذكر فيها بعض الأعيان الذين لقيهم ووصف الحالة الاجتماعية عموماً، وسجل ملاحظات دقيقة... وهو المنشئ لجريدة (السعادة العظمى)... وقد نشر رحلته المذكورة فيها، ولعل ذلك مما شجع بعض الطلبة الجزائريين على الالتحاق بالزيتونة".

الرحلة الخامسة: البحث عن الأمن



لما أحسّ بخطر السلطات الفرنسية على حياته غادر تونس وسافر عبر مصر إلى الأستانة (اسطنبول) بتركيا، بحجة زيارة خاله المكي بن عزوز المقيم هناك، لكنّه عاد إلى تونس بعد مدة عن طريق نابولي بإيطاليا التي أقام فيها فيها مدة من الزمن.



الرحلة السادسة: البحث عن الحرية

كانت هذه الرحلة نحو دمشق سنة 1911م عن طريق القاهرة حيث تعرّف على مجموعة من العلماء أمثال الطاهر الجزائري، محمد رشيد رضا، محب الدين الخطيب، أحمد تيمور باشا.



رشيد رضا



طاهر الجزائري

وفي دمشق تولى التدريس في المدرسة السلطانية، ومنها سافر إلى القسطنطينية فوصلها يوم اندلاع حرب البلقان (الروسية-العثمانية 1912)، وعاد إلى دمشق ثم سافر إلى المدينة المنورة بالحجاز في القطار.

ومن دمشق سافر إلى الأستانة فلقى وزير الحرب أنور باشا الذي عينه محررا حريا بالوزارة.

قلعة حلب (سوريا)



الرحلة السابعة: مهمة في ألمانيا



قصد الخضر حسين ألمانيا ثلاث مرات:

- في سنة 1915 أرسله أنور باشا وزير الحربية العثماني إلى العاصمة الألمانية برلين في مهمة رسمية، وظل بها عدة أشهر تعلّم خلالها الألمانية، ثم عاد إلى الأستانة، لكنه غادرها إلى دمشق بعدما شدّه الحنين إليها.

- اعتقله الحاكم العام في سوريا سنة 1916، وسجنه بدمشق شهورا، لكن أنور باشا وزير الحربية في الدولة العثمانية تدخل وأنقذه، ثم أوفده ثانية إلى برلين سنة 1917 فالتقى فيها بزعماء

الحركات الإسلامية، وبعد فترة عاد إلى الأستانة ثم إلى التدريس
في المدرسة السلطانية بدمشق.

- في سنة 1918 سافر من دمشق إلى الأستانة ثم إلى ألمانيا، ومع نهاية
الحرب العالمية الأولى حينما بدأت مظاهر زوال الدولة العثمانية تلوح
في الأفق عاد إلى دمشق.



الرحلة الثامنة: البحث عن الاستقرار

توجه هذه المرة إلى القاهرة سنة 1921، واستقر بها وفيها توسعت دائرة نشاطه، وكثرت حوله حلقات الطلاب والمريدين، وبدأ عمله يثير أنظار العلماء والمصلحين.



نهر النيل

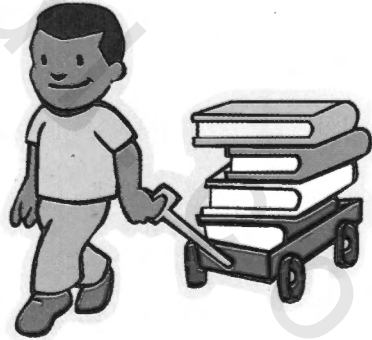
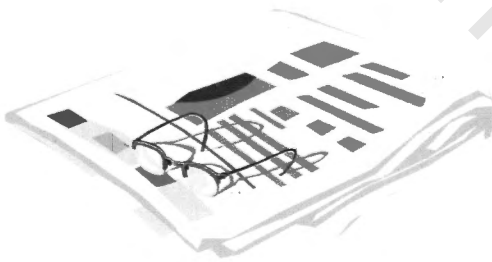


المختصر حسين
بريشة الفنان كمال بتيوي

الخضر حسين صحفيا

إنه يوم كبير في حياته... يوم حصوله على شهادة العالمية، إذ صار من علماء الزيتونة... سعادة كبرى أليس كذلك؟! بلى، إنها السعادة التي أنشأ باسمها مجلة تسمى: "مجلة السعادة العظمى" في السنة نفسها التي تخرج فيها... وكانت مجلة متميزة على مستوى شمال افريقيا... بل مجلة رائدة في العلوم والآداب. واتسعت شهرته، وعرفه الناس بثقافته، فقد كان خطيبا ومحاضرا وأديبا شاعرا.

كما شغل منصب رئيس تحرير مجلة "لواء الإسلام" وبدأ فيها تفسيره للقرآن سنة 1930.



الخضر حسين قاضيا

في سنة 1905 تولى القضاء بمدينة بترت ونواحيها كما كان مدرسا وخطيبا بجامعها الكبير، وفي سنة 1908 استقال من القضاء،

وعاد إلى تونس ليمارس التدريس بجامع الزيتونة متطوعاً ثم معيّناً،
ورفض بعد ذلك رغبة فرنسا في عودته إلى سلك القضاء.



الخضر حسين مؤلفاً

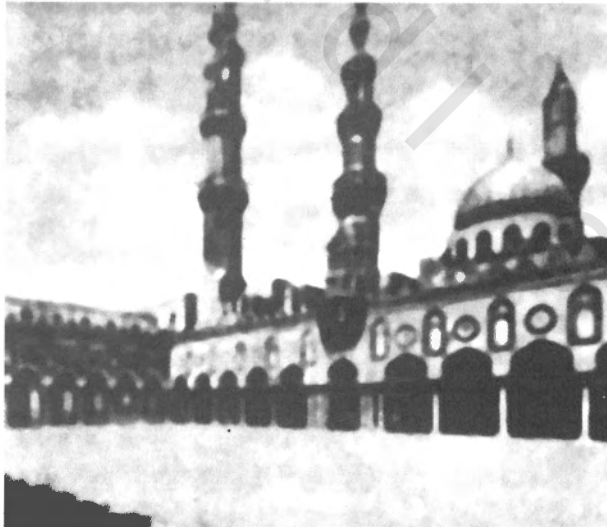
ألف سنة 1922 رسالة بعنوان "الخيال في الشعر العربي" وحقّق
لعدة سنوات كتب التراث بالقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، ثم
تخصّل على شهادة العالمية من الجامع الأزهر بعد امتحان ناله بجدارة،
فأصبح واحداً من علماء الأزهر الشريف.



توليه مشيخة الأزهر

بعد قيام ثورة مصر سنة 1952 ... وفي يوم الثلاثاء 6 سبتمبر 1952 توجه ثلاثة وزراء من الحكومة إلى بيت الشيخ الخضر حسين الموجود في شارع خيرت، ما السبب يا ترى؟! قالوا له:

- لقد اختارتك مصر الثورة والحكومة والشعب لتولي هذه المنارة الكبرى، الأزهر الشريف هذه الجامعة المشرقة على العالم العربي الاسلامي، لتكون الإمام الأكبر وشيخ الأزهر، فحمل الأمانة ولم يدخر جهداً في أدائها.



جامع الأزهر الشريف

عضويته

كان الشيخ الخضر حسين عضوا في:

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1932 .

- المجمع العلمي العربي بدمشق.

- هيئة كبار العلماء .

- جمعية الهداية الاسلامية.

- الجمعية الزيتونية 1907.

- جمعية الشبان المسلمين سنة 1927 التي أسسها مع صديقه أحمد

تيمور . .

- جمعية تعاون جاليات افريقيا الشمالية 1924، وكان من أعضائها

الفضيل الورتلاني والبشير الابراهيمى من الجزائر وبورقية من تونس.





مواقفه

كانت للشيخ الخضر نفس أبيّة عزيزة لا يقبل المساومة أو المهانة،
أليس جزائرياً؟!

وكما كانت له رحلات من بلد إلى بلد كانت له مواقف عبّر عنها
بأفعاله أو أقواله شعرا ونثرا، نذكر من بينها:

الحرية... اللغة

في إحدى محاضراته التي ألقاها يوم 9 جوان 1906 أمام قدماء
خزيجي الصادقية بتونس (حول الحرية في الاسلام) ضمّنها إشارة
إلى وضعية المواطنين تحت سلطة الحاكم الفرنسي آنذاك، كما ألقى

محاضره سنة 1909 في نادي الجمعية الخلدونية عنوانها: "حياة اللغة العربية".

فلا كان من عيش أرى فيه أمتي تساس بكفّي غاشم وغريب!

نقد الواقع



ومن موقعه بوزارة الحربية العثمانية اطلع
الخضر حسين على مواطن الفساد في الدولة
العثمانية فسجل ذلك شعرا:

أدمى فؤادي أن أرى الـ
فهجرت قوما كنت في
وحسبت هذا الشرق لم
فإذا المجلال كأنه
أقلام ترسف في القيود
أنظارهم بيت القصيد
يبرح على عهد الرشيد
من ضيقه خلق الوليد!



في الدعوة إلى النهضة والصناعة

يقول في حث الشباب على النهضة الصناعية:

أبناء هذا العصر، هل من نهضة
هذي البضائع ذللت أدواتها
إن المعارف والصنائع عُدّة
تشفي غليلا حرّة يتصعدّ؟
وسبيلها للعالمين ممهد.
باب الترقّي من سواها موصد!



الدفاع عن العرب

قال له المدير الألماني للقسم الشرقي بوزارة الخارجية الألمانية وهو
يرافقه في القطار بضواحي برلين عن قول ابن خلدون:
"إن العرب أبعد الناس عن السياسة..." فرفض الخضر حسين هذا
الفهم الخاطئ لكلام ابن خلدون، وقال:

وفي الأهواء ما يلد الهذاء
رعاياه العدالة والإخاء
أمير هزّ في الدنيا لواء

عذيري من فتى أزرى بقومي
سلوا التاريخ عن حكم تملت
هو الفاروق لم يدرك مداه

استقالاته من الوظائف

قدم استقالته من وظائف مهمة كان يشغلها:

- استقالته من منصب القضاء في بترت.

- استقالته من رئاسة تحرير مجلة (نور الاسلام) سنة

1933 عندما تم تعيين مدير تحرير دون علمه، وقد كان

بينهما جدل فكري في الصحافة.



الخضر حسين

- استقالته في 7 يناير 1954 من مشيخة الأزهر عندما أحسّ

بضغوط تريد منه العمل بما لا يرضيه، وعندها قال قولته الشهيرة:

"يكفيني كوب لبن وكسرة خبز، وعلى الدنيا بعدهما الفناء".

وقد أشار إلى سبب الاستقالة من المهمة التي أداها كاملة وأسلمها
موفورة، حينما قال:

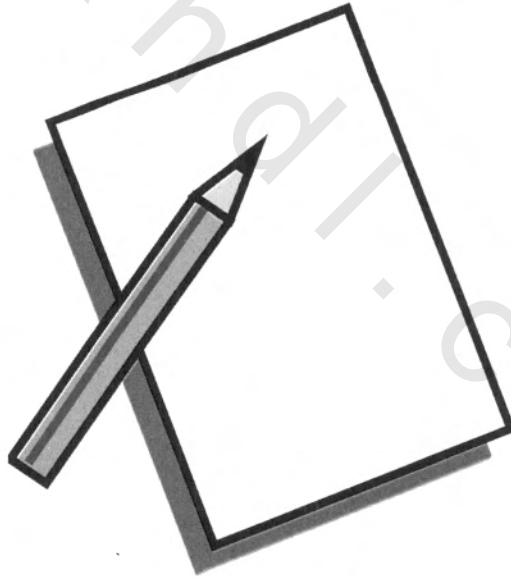
"إن الأزهر أمانة في عنقي، أسلمها- حين أسلمها- موفورة كاملة،
وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يديّ فلا أقل
من ألا يحصل له نقص!".



مقاومة الاحتلال الأجنبي

- قاوم الخضر حسين الغزو الايطالي لليبيا، واستنهض الحكومة العثمانية للدفاع ضد أعداء الحق بلسانه وبقلمه من خلال مجلة "السعادة العظمى".

- ناضل ضد الوجود الفرنسي في شمال افريقيا فوجّهت له سلطات فرنسا سنة 1911 تهمة "بث روح العداء" للغرب وخاصة تجاه سلطات الحماية الفرنسية بتونس.



معاركه الفكرية

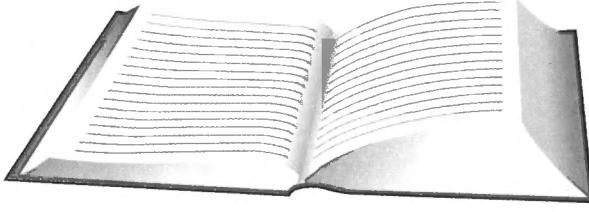
كانت للشيخ الخضر حسين ثقافة واسعة وحسٌ فكري عميقٌ مكنّاه من القيام بمواجهات فكرية في شكل مقالات وكتب ومحاضرات، يلخصها (المواجهات) الدكتور محمد عمارة عن محب الدين الخطيب في قوله:

"وفي سنة 1925م بدأت معاركه الفكرية الكبرى بكتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)..."



علي عبد الرازق

لما طبع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق، حيث أهديت إليه نسخة منه، ففاجأته أفكار صاحبه... فعكف على الردّ عليه ونقضه، فطبع الرد في نفس السنة، ونفدت طبعته خلال شهر واحد!



وفي العام التالي (سنة 1926م) ظهر كتاب (في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين، فردّ عليه الشيخ حسين بكتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) فصنع معه ما صنع مع كتاب (الاسلام وأصول الحكم) عندما فنّده فقرة فقرة، وفكرة فكرة، مع أدب رفيع في الحوار



طه حسين

وبراعة في الجدل كشفت عن عقل متمكن ومتمرس في ميدان البحث والمناظرة، يغترف صاحبه من معين من العلم لا ينضب.

وفاته

تفرغ للبحث والتأليف والمحاضرة حتى وفاته يوم 3 فبراير 1958
فشيعه العلماء والمثقفون، وامتد موكب جنازته مابين ميدان الخلق
والجامع الأزهر.
ودفن حسب وصيته في المقبرة التيمورية قرب صديقه العلامة
أحمد تيمور.

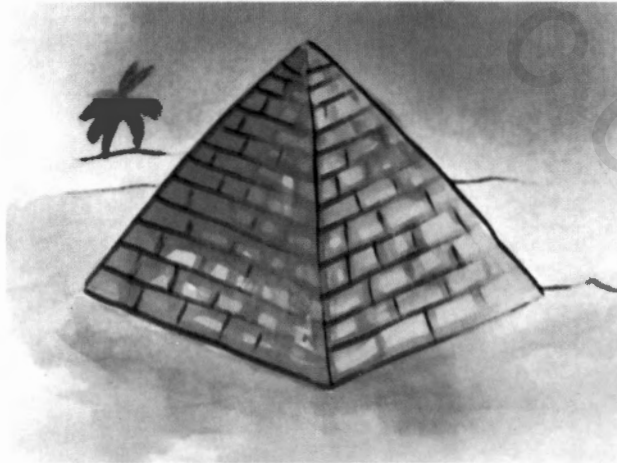




آثاره

لم يترك بعد وفاته غير أعماله الفكرية وذكره الطيب، ومن أعماله المنشورة في مجلة المجمع اللغوي نذكر الأبحاث الآتية:

- 1- المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية.
- 2- شرح قرارات المجمع والاحتجاج بها.
- 3- الاستشهاد بالحديث في اللغة.
- 4- وصف جمع العاقل بصفة فعلاء.
- 5- اسم المصدر في المعجم.
- 6- طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية.
- 7- شعر البديع في نظر الأدباء.
- 8- من وثق من علماء العربية ومن طعن فيه.



ومن المؤلفات:

- 1- رسائل الإصلاح (ثلاثة أجزاء).
- 2- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
- 3- نقض كتاب في الشعر الجاهلي.
- 4- القياس في اللغة العربية.
- 5- الخيال في الشعر العربي.
- 6- آداب الحرب في الإسلام.
- 7- خواطر الحياة (ديوان شعره).
- 8- تعليقات على كتاب "الموافقات" للشاطبي.
- 9- رحلة جزائرية.



شهادات

قال فيه صديقه محب الدين الخطيب:

"هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)"



وقال الدكتور محمد عمارة:

"لقد كان رحمه الله عقلا إسلاميا مجددا، ومناضلا في سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامي، يتحلى بخلق الأولياء والصديقين والشهداء... فهو في تونس يواجه الاستبداد الاستعماري، والمسوخ الحضاري، بالدعوة إلى إحياء العربية لتكون سلاحا في معركة الأمة من أجل حريتها واستخلاص هويتها العربية الإسلامية... وهو في المشرق "بدمشق" يواجه تسلط السفاح أحمد جمال باشا، فيدفع الثمن سجنا وتعذيبا..

لقد كان عداؤه للاستعمار الأجنبي وللاستبداد الداخلي شديدا ودائما..

وهو في مصر يتصدى لخطر الغزو الفكري، ممثلا في تيار "التغريب"، فينقض كتابي علي عبد الرزاق وطه حسين... ويسهم بالفكر في إنهاض العروبة وتجديد الإسلام.. ويسلك سبل التنظيم الاجتماعي والفكري والقومي والعلمي".

مجلة الدوحة العدد 165 سنة 1986



ويذكر د. أبو القاسم سعد الله:

"وكان شيوخ زاوية نفطة يأتون إلى الجزائر
بحكم الأصل من جهة وبحكم الروابط د. أبو القاسم سعد الله
الروحية (الرحمانية) والتعليمية من جهة أخرى... وقد قام الشيخ
محمد الخضر حسين وهو منهم بجولات في الجزائر أوائل القرن، فترل
عنابة وباتنة والعاصمة، ونجد ذلك في كتابه (رحلة جزائرية)، ثم
أسسوا زوايا تعليمية في العين البيضاء وخنشلة وخيران وسوق
أهراس".

"كذلك حلّت باسطنبول شخصيات من أصول جزائرية من أجل
تجنيد التأيد العثماني لقضية الجزائر والمغرب العربي عمومًا...
ومن تلك الشخصيات الشيخ المكي بن عزوز الذي ذاع صيته كعالم
وشاعر وسياسي ومتصوف، ثم قريبه محمد الخضر حسين، وكلاهما
كان قد زار الجزائر وتعرّف على أحوالها وهي تحت الاستعمار".

ضمن هذه السلسلة

أبو راس الناصر	الأمير عبد القادر
الكاهنة	الشيخ طاهر الجزائري
تينهينان	محمد العيد آل خليفة
أبوليوس لوكيوس	أحمد رضا حوحو
الخضر حسين	زليخة السعودي
محمد بن شنب	مالك بن نبي
الشيخ إبراهيم اطفيش	مالك حداد
مصطفى بن إبراهيم	رمضان حمود
بقار حدة	الشيخ المقراني
عيسى الجرموني	ابن رشيق المسيلي